العرب الثقافي
الأحد 2019/09/29
السنة 42 العدد 11482

مغامرة الكاتبات العربيات في حقل التفكير النقدي

مقالات وشهادات لـ15 كاتبة عربية في ملف أدبي فكري

هذا العدد يحتوي على ملف لمقالات وشهادات فكرية ونقدية بأقلام كاتبات من أحد عشر بلدا عربيا هي العراق، سوريا، مصر، البحرين، الأردن، لبنان، السعودية، ليبيا، عمان، تونس، الكويت. تنشر بالاتفاق مع مجلة "الجديد" الشهرية الثقافية اللندنية، التي كرست عددها لهذا الشهر إيلول/سبتمبر لملف واسع تحت عنوان "المرأة ناقدة ومفكرة– مغامرة الكاتبة العربية في حقل التفكير النقدي" ضم مقالات ودراسات وشهادات وحوارات وعروض كتب ورسائل تتعلق بمساهمة النساء العربيات في حقل الفكر والتفكير النقدي. نصوص جريئة تتقصّى دور المرأة في التأسيس لنقد أدبي وفكري معاصر مرتبط حكما بالظواهر الأدبية والفكرية والجمالية التي أنتجتها مشاركة المرأة في الأدب العربي المعاصر وكرّسها منجزها الأدبي والنقدي.

يغطي الملف ويتتبع مساحة معتبرة من التجارب والأفكار والأسئلة والتطلعات النقدية التي برزت وميزت النشاط النقدي والفكري للمرأة الكاتبة في الثقافة العربية على مدار أكثر من نصف قرن. وهو بمثابة محاولة للإجابة عن أسئلة طالما طرحت في الفضاءات الثقافية العربية حول طبيعة حضور الكيان النسوي في المدونة النقدية العربية، والحيز الذي شغلته المرأة في حقل الاشتغال الفكري، وبالتالي محاولة استكشاف مدى مساهمة النساء الكاتبات في إنتاج الفكر وصوغ السؤال النقدي في الثقافة العربية.

تكشف النصوص المنشورة في هذا الملف عن صوت المرأة وفكرها وقراءتها لموقع النساء الكاتبات من المدونة النقدية العربية، وطبيعة مساهمتهن فيها، وحجم هذه المساهمة. الاصوات المشاركة هنا تعيد ظاهرة ميل المرأة إلى التعبير الأدبي، وضعف حضورها في حقل النقد الأدبي والتنظير الفكري إلى عوامل وأسباب موضوعية غالبا، تتصل بأولويات وميول الثقافة العربية من جهة، ومن جهة أخرى إلى هيمنة الرجال على حقل التفكير والتنظير. ولكنها، من جهة أخرى، ترى أن ثمة مبالغات كثيرة عندما يجري الحديث عن المرأة الكاتبة والفكر، فثمة إسهامات بارزة وأخرى ممتازة في هذا الحقل، خصوصا عندما نستعيد أسماء لشخصيات ثقافية لعبت أدوارا لا تقل شانا عن أدوار الرجال، كنازك الملائكة وعائشة بنت الشاطئ وهدى شعراوي و فاطمة مرنيسي ونوال السعداوي وصول إلى فريال غزول ويمنى العيد وسلمى الخضراء الجيوسي، وغيرهن من اعلام الثقافة العربية الحديثة من النساء اللواتي برزن في حقل البحث الفكري والنقد الأدبي.

مأزق سؤال الغياب

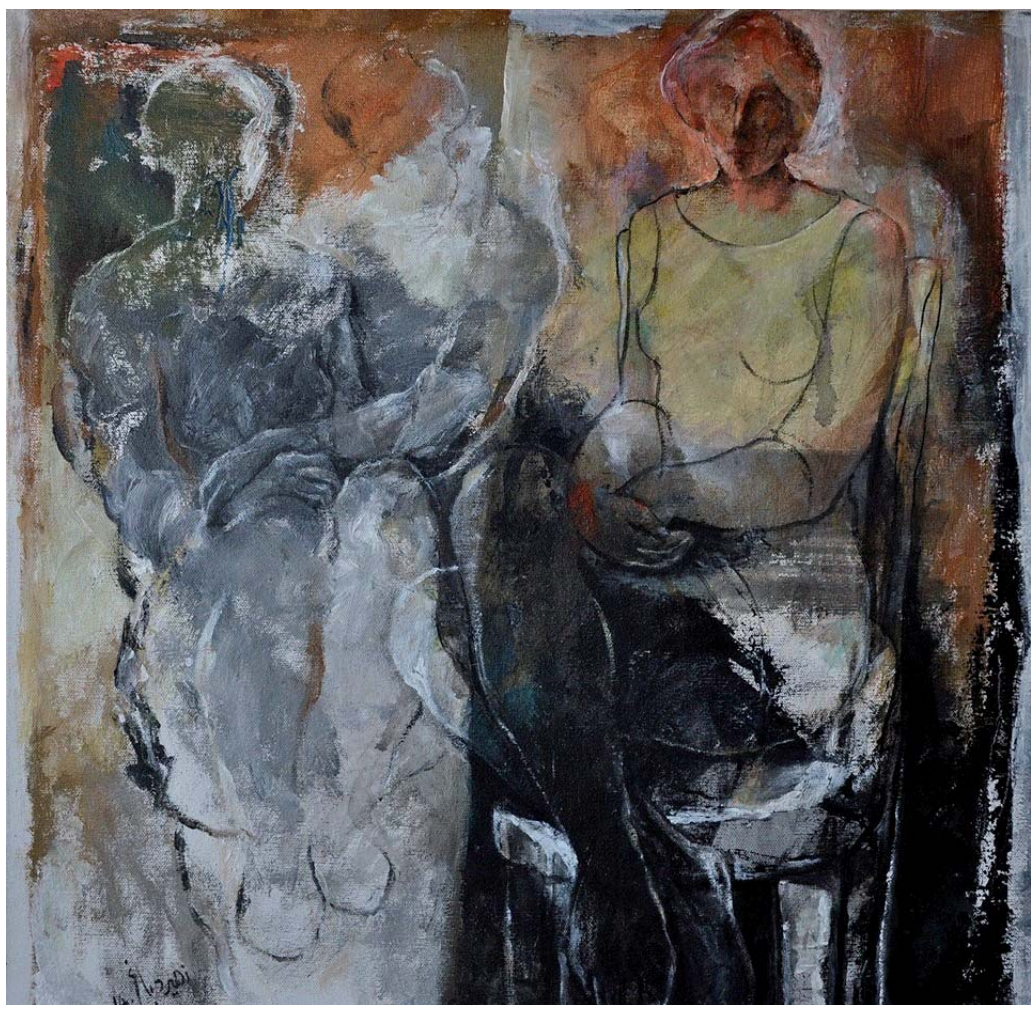

غياب المرأة الناقدة لا يُحدّد له مكان ولا شكل (لوحة الفنان زهير دباغ)

لمياء باعشن
ناقدة وأكاديمية سعودية

عندما يُطرح سؤال غياب المرأة الناقدة تمتد حمولاته الثقيلة إلى أبعد من التفقُّد والقلق واستقصاء الأحوال؛ هو سؤال يستبطن اتهاما بالقصور في أسوأ الاحتمالات، وبالتقصير في أفضلها. لذلك فالسؤال يضع المُجيب عليه على مستوى التحدي، ويجعله يتصدى جاداً لمهمة دفع التهمة عن المرأة، قاصرة أو مُقصّرة. أما وقد تم الاستدراج إلى خط الدفاع، فالمسار أمامه ذو اتجاهين، إما أن يستحضر نماذج نسائية كثيرة ويحشد رده بأسمائهن ونشاطاتهن النقدية وكأنه يكتب ورقة بحثية راصدة أقرب ما تكون إلى موسوعة بيانات، أو أنه ينجرف إلى سرد تبريرات الغياب المعتادة التي تُذكّر بالتاريخ التغييبي المشين وتستعرض الهيمنة الذكورية التي أقصت المرأة واحتكرت المشهد الفكري والثقافي، بل وجميع امتيازات الفضاء العام على مرّ العصور.

في هذا الاتجاه يتواطأ المجيب على سؤال الغياب مع معطياته ويُسلّم بالغياب، فورقته التظلميّة تهدف إلى رفع أصابع الاتهام من وجه المرأة، ثم إلقاء عبء اللوم على رأس الرجل، لكنها في ذات الوقت تعترف بالغياب.

وبعيداً عن الرصد أو التظلم، تجنح هذه الورقة إلى مسائلة السؤال ومجابهة منطلقاته ودوافعه، بدءاً من مسألة الغياب في حد ذاتها والتي هي بحاجة إلى الضبط والتدقيق. عندما يُطرح سؤال غياب المرأة الناقدة –وكثيراً ما يُطرح–، نجد التعبير عنه متفاوتاً في قياسه، فهو يتدرج من الغياب إلى شبه الغياب، ومن الندرة إلى القلة، ومن الحضور الخجول إلى الحضور الباهت، ومن العدمية إلى التغليب، حتى أننا في نهاية الأمر نستطيع أن نجزم بأن غياب المرأة الناقدة المقصود ليس انقطاعاً، وأن السؤال لا يشير إلى قطيعة بينها وبين الحضور، ولا إلى تقاعسها عن ممارسة النقد إلى حد يستدعي طرح السؤال.

ثم إن هذا السؤال الذي يفترض غياب المرأة الناقدة لا يُحدّد له مكان ولا شكل، أي أنه لا يذكر أين تم رصد غيابها ولا عمّا تغيبت. هل تغيبت عن الساحة النقدية والثقافية، أم أن إنتاجها هو الذي تغيّب؟ منطقياً، المرأة الناقدة موجودة في أماكن النشاط النقدي، ألا وهي الأندية الأدبية والمؤتمرات والمنتديات والملتقيات والصالونات الثقافية، كما أنها حاضرة في الجامعات كمتخصصة في المناهج والأدوات النقدية أكاديمياً وتنشر أعمالها في الدوريات العلمية والمجلات الثقافية، وهي حاضرة في الأنشطة المصاحبة لمعارض الكتب حيث تعرض على أرففها كتبها هي أيضاً.

من هنا نستخلص أن السؤال يستقصي حضوراً من نوع آخر، ألا وهو البروز والشهرة، ذلك الضجيج الإعلامي حول أسماء نجحت في لفت الانتباه وشد الجماهير، وليس الحضور بمعنى الإسهام الجاد في التيارات النقدية العربية المعاصرة.

> **سؤال الغياب المستحضِر بشكل دوري في كل الحقب الزمنية يسجل شهادة بحضور ولمعان أسماء نسائية ذات عطاء مهم في مراحل سابقة، لكنه أيضاً يضع المرأة الناقدة على مفرزة المقارنة مع الناقدات السابقات، ويومئ إلى حتمية التمثل بهن والحذو حذوهن**

هناك بالفعل ناقدات معروفات اسما وعملاً، لكن السؤال يظل يتردد في كل مرحلة زمنية وكأن هؤلاء النساء ما هن إلا استثناءات الحضور لقاعدة الغياب. لا يبدو أن هناك نقطة في الزمن يختفي منها السؤال تأكيداً لحضور متوالٍ، فبعد أن تسجل مجموعة من النساء بصماتهن على تاريخ النقد والفكر في الأربعينات من القرن الماضي، يطرح السؤال على نساء الخمسينات، فإن أثبتت المرأة قدراتها ومكانتها في الستينات، عاد السؤال ليؤرق ناقدات السبعينات.

وهكذا، تواجه المرأة الناقدة سؤال الغياب في كل مرحلة كسؤال ضاغط ومُحبط لها يرفع وتيرة التحدي وهو يعبر عن تسببها في انتكاس لمسيرة النساء السابقات، لأن السؤال يتكرر على صيغة واحدة: أين المرأة الناقدة بعد أن كانت هناك أم جندب زوجة امرئ القيس بن حجر وسكينة بنت الحسين وولادة بنت المستكفي وعقيلة بنت عقيل ابن أبي طالب؟ ولماذا خفت صوت المرأة الناقدة بعد أن كانت هناك مي زيادة وملك حفني ناصف وماري عجمي؟ ولماذا اختفت المرأة الناقدة بعد أن كانت هناك عائشة التيمورية ووردة اليازجي ولطيفة الزيات وسهير القلماوي؟ وما سبب تضاؤل عطاء المرأة الناقدة من بعد أن جاءت نوال السعداوي وغادة السمان، وسلمى الخضراء الجيوسي؟

سؤال الغياب المُستحْضَر بشكل دوري في كل الحقب الزمنية يسجل شهادة بحضور ولمعان أسماء نسائية ذات عطاء مهم في مراحل سابقة.

حضور أنثوي رائع

وجدان الصائغ
أكاديمية عراقية

إذا حصرنا التفكير النقدي في مجال النقد الأدبي فالأقلام النسائية قلائل قياسا بحضور الأقلام الرجالية، ولكن إذا اعتبرنا الإبداع نوعا من التفكير النقدي، لأن الروائية والشاعرة والقاصة والرسامة وكل أنواع الإبداع الأدبي ما هو إلا رؤية فلسفية للحياة يمتزج فيها النقد الثقافي والاجتماعي والأدبي، ألم تنقد أحلام مستغانمي الحرب الأهلية بالجزائر وكتّابها مثقفيها في روايتيها "ذاكرة الجسد" و"فوضى الحواس"؟ ألم تنقد الشاعرة روضة الحاج في قصائدها الفساد السياسي الذي أوصل الشعوب العربية إلى ما آلت إليه من فقر وبطالة؟ ألم تنقد هدى العطاس في قصصها الثقافة الفحولية وممارساتها العدوانية ضد الحضور الأنثوي؟ ومثل ذلك ينسحب على بقية الأصوات النسائية التي تتربع الآن على عرش المشهد الإبداعي العربي.

هناك حضور طاغ للصوت الأنثوي الجاد الذي يحاول أن يحفر له مكانا في الذاكرة العربية، وليس أدل على ذلك من الأصوات النسائية التي وقفت ليس فقط بالكتابة بوجه التمييز الجنسي أو ما أسميه الثقافة الفحولية بل بشكل مباشر بوجه المجتمع الذي يبارك هذه الثقافة، أذكر على سبيل المثال الدكتورة نوال السعداوي والشاعرة والروائية جمانة حداد وغيرهن من الأصوات التي أثبتت حضورا وتأثيرا واضحا على وعي الجيل الجديد. بالإضافة إلى ما يوازيه من حضور متميز للأقلام النسائية التي استخدمت الرمز لتغيير السائد الاجتماعي الذي يهمش المنجز الأنثوي على كل الأصعدة وليس الكتابة فحسب، وتحضرني الكثير من الأسماء النسائية مثلا على صعيد الرواية ليلى العثمان ومنى الشافعي وبثينة خضر مكي وزينب حفني ونادية كوكباني وعزيزة عبدالله وميرال الطحاوي وصالحة غابش وهدى النعيمي وسمر يزبك وهالة البدري وحصة العوضي وهدية حسين ولطفية الدليمي وميسلون هادي وإرادة الجبوري وشهلا العجيلي وسعاد آل خليفة وفوزية رشيد وريم الكمالي وغيرهن كثر، وعلى صعيد الشعر سعاد الصباح وإيمان بكري وريم قيس كبة ونبيلة زباري وزكية مال الله والهنوف محمد وهاشمية الموسوي وسعاد الكواري ونجوم الغانم ومروة حلاوة وحمدة خميس وظبية خميس وغيرهن كثير.

السائد الثقافي ما زال ينظر للمرأة كجسد بلا رأس، هي نظرة الشارع إلى الصوت النسائي في ظل غياب قانون مدني يحمي إنسانيتها وإن كان هناك قانون فإنه لا يتعدى أن يكون حبرا على ورق ولا يطبق، الصوت النسائي ما زال يفتح بصعوبة منصات الإبداع التي يهيمن عليها المبدع "الرجل"، لا أنكر تفهم الرجل المبدع لدور المرأة ومساندته لها ولكن يبقى بزوغ نجم الرجل في سماء الإبداع أسهل من المرأة.

ورغم المعوقات الاجتماعية فإن صوت المرأة يشكل حضورا متميزا في المشهد الأدبي العربي، ولكني لا أفهم فكرة أنها لم تنجح في رسم ملامح المساواة في المشهد الفكري، لأني شخصيا لا أجد فرقا بين الفكري والأدبي، وأيضا لا أعتقد بأن المرأة بمفردها ودون سلطة القانون المدني تستطيع أن ترسي دعائم المساواة. المساواة لن تكون متحققة على الأرض دون قانون يحميها ودولة تسهر على تفعيل هذه القيمة التي تغنت بها المجتمعات لمداعبة مشاعر المرأة. بالقانون وحده يمكن أن تتحقق المساواة ويمكن للمرأة أن تقف جنبا إلى جنب مع الرجل لممارسة دورها الإنساني في المجتمع وليس خلف الرجل "العظيم" –حسب المثل السائد– وبالقانون الذي يكفل لها إنسانيتها وآدميتها يمكن لها أن تتصدر منصات الخطاب الأدبي بل والخطاب السياسي. ذلك أيضا يحتاج إلى تعديل المناهج الدراسية التي ترسم للطفل الطالب "صورة أمه وأخته اللتين في المطبخ وصورة أبيه وأخيه اللذين يشاهدان التلفاز" تحقيق المساواة يحتاج إلى إعادة خلخلة السائد الثقافي وتصحيحه ولن يتم ذلك إلا بالقانون والقانون الفعلي فقط.

> **المرأة الكاتبة تجد نفسها في نهاية المطاف في مواجهة ليس فقط الظرف السياسي أو الاجتماعي بل والعائلي حين يعاديها ابنها أو أقاربها الرجال الذين يوصلون لمسامعها ما يسيء لاستقرارها**

بالنسبة إليّ، فقد واجهت في بداياتي ما تواجهه أيّ كاتبة عربية إذا استثنينا المعوقات الاجتماعية، فثمة المعوقات الثقافية التي كانت تجبرني وأنا أتوقف عند صورة شعرية باذخة الجرأة في أن أبوح بتفاصيلها للمتلقي العادي، لذلك أستخدم أسلوب الترميز لأوصل مضامين كتاباتي للقارئ المتخصص، بمعنى أنني أهرّب أفكاري بحقائب الرمز لتعبر القارئ الرقيب، شأني في كتاباتي النقدية شأن المبدع الذي يوظف الرمز ليغلف بنية المسكوت عنه، ومن ثم فقد توقفت بالنقد لأجرأ النصوص التي تناولت البنية الثقافية والاجتماعية للبيئة العربية ولكتاب احترفوا الكتابة وأتقنوها.

أما السؤال عن تراجع المشروع النقدي والفكري للمرأة، وعلاقته بسياسات البنى الفوقية المتحكمة فهو سؤال بقدر ما هو بسيط بقدر ما هو يضع اليد على الجرح، فالبنى الفوقية المتحكمة لها علاقة بكل الذي ذكر آنفا لا سيما وأنها توظف الخطاب الديني لخدمتها، ولمصلحتها، فتلك "البنى الفوقية" من مصلحتها تجهيل العامة "البنى الاجتماعية وتحديدا الفقيرة"، ولن يتم السيطرة عليها دون خطاب "الحرام والحلال" وأول خطوات الحرام هو "صوت المرأة"، ولنا أن نخمن كيف هو حال "المشروع النقدي والفكري للمرأة" التي هي ابنة هذا المجتمع، وكيف هو "تحررها". بالمناسبة "تحررها" وحسب تلك المنظومة "تعني الخلاعة في اللبس والفعل والمروق عن النهج"، وليس القدرة على صناعة القرار وممارسة دورها الإنساني ولذلك فهو ما يدخل هنا في باب "الحرام" أو "العيب" في أقل تقدير.

المرأة الكاتبة تجد نفسها في نهاية المطاف في مواجهة ليس فقط الظرف السياسي أو الاجتماعي بل والعائلي حين يعاديها ابنها أو أقاربها الرجال الذين يوصلون لمسامعها ما يسيء لاستقرارها، حين تجد نفسها وحيدة بعد أن جاهرت بعدائيتها حارسات الثقافة الأبوية من النساء سواء الكاتبات أو بنات عائلتها، حين تجد نفسها دون معاش يكفل لها حياة كريمة ككاتبة وتجد نفسا مضطرة لأن تكون عالة على عائلتها، حين تجد نفسها مطلقة ودون معيل بسبب كتاباتها، نعم تتوقف عن الكتابة أو أن تغير مسارها على الأقل. وفي ذهني وأنا أذكر هذه الأمثلة حشد من الكاتبات المطلقات أو الأرامل دون معيل لأن الدولة لم تخصص لهنّ ما يحفظ لهن ماء الوجه. يتوقفن لأنه لا يوجد تقدير اجتماعي وثقافي للمرأة الكاتبة إلا فيما ندر.

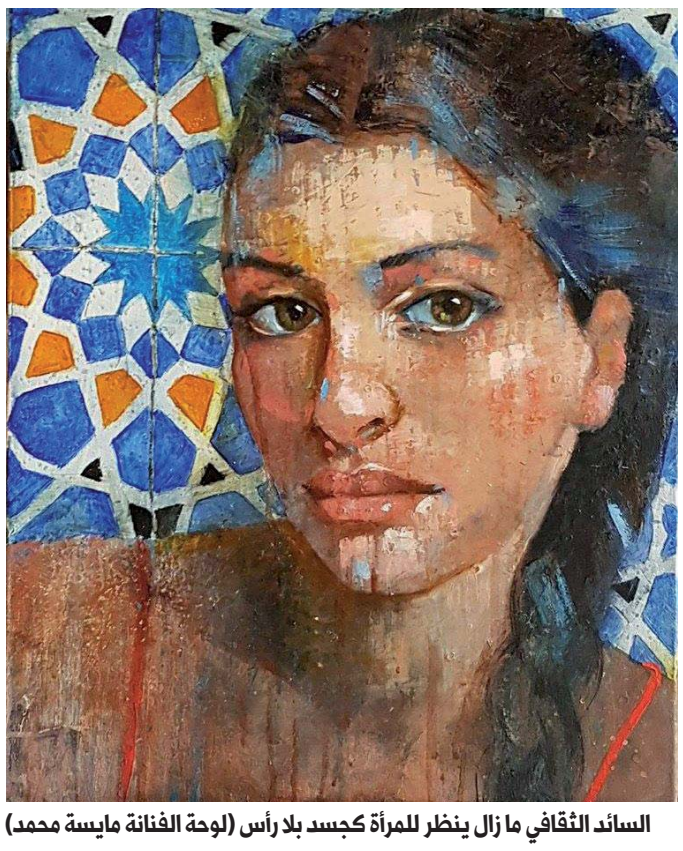

السائد الثقافي ما زال ينظر للمرأة كجسد بلا رأس (لوحة الفنانة مايسة محمد)